أوهـــام في الزيتون

للآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان

« في السفح الغربي من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود في أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة ، تحنو على تفيئ ظلالها ، وتمسح على رأسي عذبات أغصانها ؛ وطالما خيل لي أنها تبادلني الألفة والمحبة ، فتحس بإحساسي ، وتشعر بشعوري .

وفي ظلال هـــذه الزيتونة الشاعرة كم حلمت أحلاماً ووعت أوهاماً » .

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي تحطم الروحُ قيودَ الثرى
وتخلد النفس إلى عزلة يخنق فيها الصمت لَغْوَ الورى

هنا ، هنا ، في ظل زيتونتي في عدوة الوادي ، بسفح الجبل
أصغي إلى الكون ولما تزل آياته تروي حديثَ الأزل

هنا يهيم القلب في عالم تخلقه أحـــلامىَ المبهمه
لألقه في ناظري روعة وللرؤى في مسمعي هيلمه

عالم أشـــواق سماوية تطلق روحي في الرحاب الفساح
خفيفةً ، لا الأرض تثني لهـا خطواً ، ولا الجسم يهيض الجناح

واهاً ! هنا يهفو على مجلسي من عالم الأشواق روح حبيب
لم تره عينـــاي ، لكنه في خاطري ، يا للبعيد القريب

أكاد بالـــوهم أراه معي يغمر قلبي بالحنان الدفيق
يمضي به نحو سمـــاء الهوى على جناح من شعاع طليق

زيتونتي ، لله كم هاجس أوحت به أشواقك الحائره ...
وكم خيالات وعى خاطري تندى بها أغصانك الشاعره !

نجيتي أنت وقـــد عزّني نجيٌّ روحي يا عروس الجبل
دعي فـــؤادي يشتكي بثّه لعل في النجوى شفاءً ، لعل

يا ليت شعري إن مضت بي غداً عنك يدُ الموت إلى حفرتي
تراك تنسين مقامي هنـــا وأنت تحنين على مهجتي ؟

تراك تنسين فؤاداً وَعَتْ أسراره أغصانك الراعشات
باركها الله ، لكم ناغمت وهدهدت أشواقه الساهرات !

زيتونتي ، بالله إما هفت نحوك بعدي النسمة الهائمه
فاذكري كم نفحتنا معاً عطورها الناضرة الفاغمـــه

وحين يشجيك طيورُ الربى بنغمة ترعش منك الغصون
فاذكري ، كم طائر شاعر ألهمه شدوي شجيَّ اللحون !

تذكريني كلما شعشعت أوراقك الخضراء شمس الأصيل
فكم أصيل فيه شـــيعتها بمهجة حرّى ، وطرف كليل

إن يزوها الغربُ عن عرشها فالشرق الزاهي بها يرجع
لكنني ، آهاً ، غداً تنزوي شمس حياتي ثم لا تطلع !

ويحي ، أتطويني الليالي غداً وتحتويني داجيات القبور ؟
فأين تمضي خفقاتُ الهوى وأين تمضي خلجات الشعور ؟!

ونور قلبي ، والرؤى ، والمنى وهـــذه النار بأعماقيه ...
هل تتلاشى أبداً كلها كأنها ما لهبت ذاتيه !..

أما لهذا القلب من رجعة للوجد ، للشعر ، لوحي الخيال ؟
أيخمد الشبوب من ناره واشقوة القلب بهذا المآل ! .

يا رب إما حان حين الردى وانعتقت روحي من هيكلي
وأعتقت نحـــوك مشتاقة تهفو إلى ينبوعها الأول —

وبات هنا الجسم رهن الثرى لقىً على أيدي البلى العاثره
فلتبعث القدرة من تربتي زيتونة ملهمة ... شاعره ...

جذورها تمتص من هيكلي ولم يزل بعد طرياً رطيب
تمتصُّ من قلبي أنواره ومنه تستلهم سرَّ اللهيب !

حتى إذا يا خالق أنعمت عناصري أعصابهـا والجذور
انتفضت تهـــتز أوراقها من رقة الحسِّ ووهج الشعور

وافرعت غيـــناء فينانةً مما تروّت من رحيق الحياه
نشوى بهذا البعث ، ما تأتلي تذكر حلماً قد تلاشت رؤاه

حـــلم حياة سربت وانطوت طفاحـــة بالوهم — بالنشوة
لم تك إلا نغماً شـــاجياً على رباب الشوق والصبوة !

(نابلس)

فدوى عبد الفتاح طوقان